دار قصص
وحكايات
للنشـر
الإلكتروني
2020

رواية قصيرة

الفلاح العاشق

أحمد سليمان أبكر

الفلاح العاشق

رواية قصيرة

أحمد سليمان أبكر

العنوان: **الفلاح العاشق**

النوع الأدبي: رواية قصيرة

المؤلف: أحمد سليمان أبكر (نبذة)

قوة السرد: كتابات إبداعية

المُدقق اللُغوي: الكاتب بنفسه

اللغة: فصحى

التنسيق الداخلي والإخراج الفني: رمضان سلمي برقي

تصميم الغُلاف: رمضان سلمي برقي

سنة النشر: 2020

الحالة: حصرياً

رقم الطبعة: 1

رقم الكتاب بالدار: 90

تم النشر بواسطة دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني2020

الدار غير مسؤولة عن أفكار الكُتّاب الواردة بإبداعاتهم؛ الكُتّاب وحدهم المسؤولون عنها.

الموقع الصفحة الجروب

إهداء...

إلي أولئك الذين عشقوا الأرض وحواءها..

المؤلف

القضارف

السبت ١٩أكتوبر٢٠١٩م

الطيف

تلاشت أشعة الشمس في الأفق الغربي وحل الظلام، وفجأة هبت ريح شديدة،جعلته يركض هنا وهناك علّه يجد مكانا يأوي إليه، لكن دون جدوى، فتوقف وجثا على ركبتيه يلتقط الأنفاس،وقد أيقن بالهلاك وبينما هو كذلك ترآى له نور خافت قادم نحوه من بعيد،ولكن ما لبث أن أخذ النور يقترب ويقوى شيئًا فشيئًا حتى كشف عن ركب من الجواري الحسان يصخبن بالغناء ويتمايلن بالرقص، فوجد نفسه يسير في إثرهن حتى انتهى معهن إلى قصر لم يرى مثله قط في حياته،حيطانه مبنية بالذهب والزمرد، وفي وسط القصر بركة غزيرة الماء في بستان عظيم فيه طيور بسائر الأشكال والألوان وتغني بسائر الأصوات، وبجانب تلك البركة أريكة وثيرة مرّصعة بالذهب، تجلس عليها أميرة،رشيقة القد،قاعدة النهد، ذات حسن وجمال، وقدّ واعتدال، وجبين كغرّة الهلال، وعيون كعيون الغزال، وخدود كشقائق النعمان، وفم كخاتم سليمان، ووجه كالبدر في الإشراق، ونهدين كرمانتين بإتفاق، مزينة بأفخر الزينة ولابسة أفخر الملبوس، وفي عنقها عقد من الجواهر وفي صدرها قلائد من الذهب الخالص، وفي يديها أساور تضيء كالنجوم،وفي رجليها خلاخل من الذهب مرصّعة بالماس، والجواري قدامها وخلفها وعن يمينها وعن شمالها، وبين يديها جارية مقلّدة بسيف عظيم قبضته من زمرد وعلائقه من ذهب مرصّع بالجواهر..

أومأت تلك الأميرة إلى جارية من الجواري الحسان بأن قادته إلى سماط عليها صحاف من الذهب والفضة الممتلئة بما لذ وطاب من الطعام،فأكل من تلك الصحاف حتى اكتفى، وأتته جارية أخرى بأقداح المدام فشرب حتى ارتوى،ثم توسطت المكان جواري مغنيات كأنهن الأقمار وبأيديهن سائر آلات الملاهي، وأخذن يغنين بألحان أطربت الآذان ورّقصت الأبدان، وخيّل إلى جابر أن القصر يرقص بهم طربًا،ولما ثمل وطاش عقله وترنحت أقدامه وتثاءب فوه، صرفت الأميرة الجواري وقادته حتى انتهت به إلى مضجعها، وكشفت ثوبها إلى نحرها وجذبته إليها،وجعلت فمها على فيه،ولفت ساقيها بساقيه،وما أن لامس خاتمها حتى صاحت الديكة وقد شعشع نور الفجر،انتهى الحلم ولكن ظلت صاحبته عالق في ذهن جابر الذي أحس بلذة الحب لأول مرة فهام بها وظل طيفها يرواده بلا انقطاع وهو في حيرة من أمره..أهي حقيقة أم خيال؟ وإن كانت حقيقة أهي إنسية أم جنية؟..

لقد ظل جابر طائرًا حائرًا يتنقل بين الأشجار والآكام ويسبح في فضاء الأحلام، ويجلس على أطراف الغصون عند المساء متأملًا في طيفها السابح في مدينة الغيوم المتلونة التي تبنيها الشمس عند الأصيل وتهدمها قبل الغروب؛بل كان يسير منفردًا في مشارق القرية ومغاربها مستقصيًا خفاياها وأسرارها؛وكانت هي حلم تسعي إليه تحت جنح الليل فتدخل عليه كالنسمة الحالمة من شقوق كوخه،ولا تزال ترواده حتى ينبلج الصباح.

المستوحش

كذا أخذ يقضى أيامه وحيدًا شريدًا، هائمًا مستوحشًا، يأكل حيث يجد طعامًا،ويشرب حيث يجد شرابًا ويأوي إلى كل ظلٍ، وينام تحت كل كوكب، حتى تَخَوَّنَه السقم، وأضواه الهم، فغارت عيناه، وانكفأ لونه،وذوت نضرته، وأصبح مثل الخلال رقةً وذبولًا،فأزعج أمره أمه المسكينة التي أخذت تبكيه ليلها ونهارها. ولم تقدم على مفاتحته بكلمةٍ واحدة في شأن نكبته التي نُكب بها رحمةً به.

يغمر الليل القرية وبين طيات أثوابه الزرقاء يسكب المحبون أنفاسهم وعلى قدميه المغلفتين بقطر الندى يهرق المستوحشون قطرات دموعهم وفي راحتيه المعطرتين بطيب الأودية يضع العاشقون شوقهم وحنينهم فهو نديم المحبين وأنيس المستوحشين ورفيق العاشقين، وهو عادل يجمع بين جناحي الكرى أحلام الضعفاء بأماني الأقوياء،وجابر محب ومستوحش وعاشق غارق في هواجس الحب التي ألمت به، الهواجس التي أصبحت تشكل مصدر قلقًا له وهو الذي يحاول مرة بعد مرة معرفة من تراوده في يقظته ومنامه أهي حقيقة أم خيال؟..

جلست إليه أمه التي كانت يمزقها الحزن عليه تمزيقًاوقالت له بصوت تخنقه العبرة:

ما بك يا ولدي.. أراك شاحب الوجه شارد الذهن..كأن هموم تتزاحم في صدرك..

انتزع جابر ابتسامة شاحبة من بين شفاه، وأوما برأسه أنه غارق في بحر من الهموم..

ثم استرسل في الحديث عن ما به كأنه كان ينتظر هذه الفرصة التي أتيحت له، وأمه تصغي إليه بكل جارحة بل معبرة بها عن كل جملة ينطقها..

بعد أن فرغ جابر مما به نفث هواءً ساخنًا من صدره، جعل أمه تنظر إليه بعطف وشفقة وهي تقول له:

لا عليك يا بني سيكون أمرك خيرًا إن شاء الله..

فلما استحالت حاله إلى ما أرت، رأت أن تذهب في معالجته مذهبًا غير المذهب الأول، فجلست إليه ذات يومٍ وقلت له:

أتعلم يا جابر أن حبيبتك مخلصة إليك وستأتي إن شاء الله وتكون حقيقة ماثلة بين يديك لا طيف..

فانتفض قليلًا ورفع رأسه إليها ورنق كأنه ينتظر ما قالت، ثم ما لبثت أن أخرجت له صورة لفتاة جميلة كانت قد وجدتها تحت سدرة مقيله في الحقل،وحتى تلك اللحظة لم تكن تعرف سببًا لاحتفاظها بهذه الصورة سوى أنها تتمنى أن تكون زوجة ابنها جميلة كصاحبة الصورة، فما أن رأي جابر الصورة حتى اختطفها من بين يدي أمه بيديه المرتعشتين وصاح:

إنها هي .. إنها هي.. أين وجدتينها؟

قالت أمه:

من هي؟

صمت قليلًا ثم قال متلعثمًا:

الفتاة التي تراودني وأحبها بل وأعشقها أشد العشق.

قالت أمه:

أمتأكد أنت من قولك يا جابر؟

قال لها:

كما أني متأكد من وجودك أمامي الآن..

علت الدهشة وجه الأم وقد همست في نفسها مضطربة:

يا إلهي..أممسوس ولدي أم ماذا هناك؟

ثم أردفت قائلة بعد أن دفعت بشبح الاضطراب جانبًا وهي توجه حديثها إلى ولدها:

لقد وجدتها تحت سدرة مقيلك..

من حيث لا يدري تنفس تَنَفُّسَةً طويلة وأخذ يقبل الصورة ويغمرها بدموعه وقبلاته..

فافترصت أمه هذه الفرصة وأنشأت تقول له:

ما هذه الدموع التي تذرفها يا بني ليلك ونهارك ما تهدأ ولا تفتر؟

وما هذا الحزن الذي تحمله بين أحناء ضلوعك لا يتفرج عنك بوجهٍ من الوجوه، ولا حيلة من الحيل؟

ومتى كان الحب نكبةً من النكبات العظام التي يهلك المرء في سبيلها جزعًا، وتتساقط نفسه من دونها حسراتٍ؟...

هوّن على نفسك يا بني؛ولو أنك عدت إلى نفسك قليلًا لعلمت أنها لم تفارقك، ولم تنأ عنك،وأنها جالسةٌ إليك تحدثك وتسمع حديثك، ولا شك عندي في أنها عاتبةٌ عليك أشد العتب في هذه العجاجة السوداء من الحزن التي تثيرها على أثرها كأنها ذاهبةٌ بلا رجعة؛لا تبك فاتتك كما يبكي الطفل لعبته النافقة، وكأنني أسمعها تهتف بك قائلةً عليَّ يا جابر فإنني قادمة وأن الله سيسبغ عليك لقائي مكافأةً على صبرك واحتمالك، وما استقبلتُ به هموم حياتك وآلامها من سكينةٍ وجلدٍ وسيحسن الله جزاءنا،ويجمعنا ، فنعش معًا في سعادةٍ وهناء..

لقد كانت أمه خائفة عليه أشد الخوف، فلم يقع نظرها عليه حتى تنهض إليه وتضمَّته إلى صدرها وتنفجر بالبكاء، فينَفَّس الدمع عنها تلك الحرقة الكامنة التي

تعتلج في صدرها منذ أن أصاب أبنها ما أصابه، ثم ما يلبث أن ينبعث شعاعًا لامعًا من عينيه اللامعتين إلى قلبها فيضئه بنور العزاء والسلوى، فتطفق تُقَبِّله، وقد امتزجت دموعهما بدموعه وأنزل لله عليهما السكينة والصبر، فاستحالت تلك العاصفة التي كانت تعصف بقلبيهما ليلها ونهارها إلى سكونٍ يشبه سكون الموت، فلا نواح ولا عويل، ولا تذمر ولا شكوى، إلا ما كان من تلك العبرات التي تنحدر من آماقهما في صمتٍ وسكون.

لقد عكفت الأم على تمريض ولدها المسكين، فلزمت فراشه ليلها ونهارها ما كادت تفارقه حتى استطاع بعد ثلاثة أسابيع أن ينشط من علته، إلا أنه استحال إلى شخصٍ آخر غير ذلك الشخص الأول، وكأنما انطفأ في قلبه ذلك المصباح المنير الذي كان يمد حواسه ومشاعره بالنور والإشراق، فأصبح ذاهلًا مذهوبًا به، تُحدِّثه فلا يكاد يفهم الحديث،ولا يكاد يرد عليه إن فهمه، وكانت تدنو منه أمه أحيانًا فتقول له:

إنني كلما رأيتك يا ولدي أرى حبيبتك وأحادثها إنها ستأتي..

تريد بذلك تسرية همة وإزالة وحشة نفسه، فلا يكاد يسمع ذلك حتى ينتفض انتفاضًا شديدًا ويخرج من الكوخ هائمًا على وجهه، فلا يعود إليه حتى يعود به من يراه؛وكثيرًا ما كان يذهب وحده فيجلس هناك تحت سدرته ويظل على ذلك عدة ساعاتٍ حتى تذهب إليه أمه تعود به إلى الدار..

وفي اليوم من الأيام تسلل مع نسمات الصباح الحالمة ليتمشى بظاهر الحقول متنسمًا هوائها العليل، وبينما هو كذلك إذ لمح شبح جالس عند حافة النهر، فأخذ يدنو منه شيئًا فشيئًا حتي بانت ملامحه فكان شبح فتاة مستغرقة في تصفح الأفق، فلمّا شعرت بالحركة من خلفها اتلفت نحوه وكانت أضواء الصباح قد تكاثفت وأبانت وجهها بكل وضوح.

انعقد حاجب الدهش على وجهه فإذا هي نفسها الطيف الذي يراوده في منامه ويقظته، فما لبث أن هرب الدم من عروقه والروح من جسده وبقى أسبوعين بلا عقل..

الملاعبة

شمل الدار سكون وهدوء لم يقطعهما إلا نباح الكلاب وتصايح الديكة في داخل الدار وفي أطراف القرية، وأقبل النوم رفيقًا كأنه اللص فضم بين ذراعيه أهل القرية جميعًا إلا جابر الذي لم يتحول عن تحديقه في السماء ولم ينقطع تفكيره في أمر فتاته؛وبينما هو كذلك انشقت الأرض وخرج له رعد قاصف حمله ونزل به إلى باطن الأرض، فغشي عليه من شدة الخوف، فلما أفاق وجد نفسه في غرفة مكسوة بالحرير الأخضر، ومضاءة بمصباح معلق في سقفها ، بها فتاته وهي في غاية جمالها، رشيقة القد، أسيلة الخد، كاملة الوصف، كحيلة الطرف بوجه مليح وقدّ رجيح، ترقد على سرير من المرمر ومرصّع بالجواهر ومفروش بالحرير والرياش، لابسة جلباب فضفاض من الحرير الأسود بخز أبيض، كاشفة عن صدرها الناهد وشعرها المسترسل، وجيدها الفارع الذي كان يزينه عقدًا من اللؤلؤ، وتحيط بمعصميها أساور من الذهب الخالص، وتطوّق رجليها خلاخل من الفضة،وفي أصابعها خواتم بفصوص من الماس، وتفوح من مرقدها رائحة العنبر التي عبقت المكان..

كان يتصبب عرقًا من شدة الخوف لكنها هدّأت من روعه ثم دعته ليجلس بجانبها ، وبعد أن سكنت نفسه أخذت تناقشه وتعرض عليه نفسها فاضطرب من طلبها وقال لها:

ما هذا الكلام يا حبيبتي؟

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم..اللهم إن هذا منكر لا يرضيك..كف عن هذا الحديث الآن يا حبيبتي، فأنا لا أستطيع فض خاتمك إلا بحق..

ثم قام من مكانه وقعد بعيدًا عنها، فتبعته ورمت روحها عليه وهي تقول له:

لاي شيء يا جابر تحرم نفسك من لذّة وصالي وأنا قلبي يحبك؟!

فازداد اضطرابه وقال لها:

إن لم تمتنعي عني أخبرت أباك بخبرك..

قالت إني أبي يعرف بخبري ولا يمكن أن يمنعني، فاجبر بخاطري ..لاي شيء تمتنع عني؟

أما أعجبتك..

فقال جابر:

والله يا حبيبتي لا أفعل ذلك ولو قطعت بالسيوف البواتر.

ثم همّ جابر بالخروج وهو يقول:

بالله عليك؛دعيني أذهب إلى حال سبيلي..

ثم قام على قدميه وتعلقت به وهي تقول له:

أنظر لإشراق وجهي وحمرة خدي ولين معاطفي ورقة شفايفي. ثم كشفت عن ساق يخجل الخمر والساقي، ورنت إليه بلحظ يعجز السحر والراقي.

ثم بينت له صدرها وهي تقول له:

أنظر إلى نهودي فإنها أحسن من الرمانات، وريقي أحلى من السكر النبات، فدعك من الورع والزهد، والتبتل والنسك، واغتنم وصالي وتملّ بجمالي ولا تخف من شيء أبدًا وعليك الأمان والكتمان وأترك هذه البلادة فإنها بئست العادة. وصارت تريه ما خفي من محاسنها ويبديه،وتثني عنان عقله بثنيتها وجابر يتلفت وجهه ويقول:

أعوذ بالله،استحي يا حبيبتي إن هذا شي حرام لاأفعله حتى في المنام..

فشددت عليه فافلت منها واستقبل القبلة وصار يصلّي، فلمّا رأته يصلي تركته حتى صلّي ركعتين وسلم. وأراد أن تتقدم إليه فنوى الصلاة وصلّي مرة أخرى ركعتين ولم يزل يصلّي حتى صاحت به ما وهذه الصلاة؟ لقد أضعت حظنا وأنت طوال الليل في المحراب؛ثم أقبلت عليه وصارت تقبله بين عينيه، وما هي إلا برهة حتى رمت نفسها على صدره ومن شدة غيظها من غرامه نزلت على خدوده بعلقة قُبل حتى أثر ذلك في خديه، فاشتدت حمرتها وزهت وجنته، ونزلت على شفتيه بالمص، ولم تزل تمص شفتيه، حتى خرج الدم في فمها ومع ذلك لم تنطفيء نارها ولم يرو أوارها؛ولم تزل معه بين تقبيل وعناق والتفاف ساق على ساق

حتى أشرق جبين الصباح، وتبلج الفجر ولاح،ثم أخذ يتوضأ، فلما وضع الماء على وجهه أحرقته خدوده وشفته، فقال متعجبًا:

يا الهي .. إذا كان هواء الكوخ ثقيلًا فاستغرقت في النوم، فما بال خديّ وشفتيّ؟!

الخطوبة

مرت ست شهور على قدومه ،حيث بدأ فيها مستأجرًا لمساحة زراعية من أهل القرية، ثم عمد إلى جلب طلمبة لضخ ماء النيل وري تلك الأرض التي أنتجت الكثير من الخضر التي استفاد من ريعها في استطلاح الأرض البور التي اشتراها من جابر؛لقد تحولت تلك البور في بحر عام ونصف إلى حديقة غناء تزدحم في جنباتها أشجار الفاكهة المتنوعة من برتقال ومانجو وعنب وغيرها من الأشجار المثمرة، إلى جانب الزهور الزاهية التي زينت عرصات المنزل الحجري الفخيم الذي بُني في وسط الحديقة..

غاب سليم أفندي عن القرية قرابة الشهر ثم عاد وفي معيته أسرته المكونة من زوجته وبنته تلك الفاتنة الفائقة الجمال، فهي بيضاء شقراء في تقاطيعها دقة وفي ملامحها رقة، يشع من عينيها الزرقاوين بريق مضيء ويلوح في بشرتها البيضاء البضة نقاء وصفاء ويضيء من شعرها الذهبي سناء وضياء، في بسمتها إشراقة وفي كل لفتة من لفتاتها دلال رشاقة..

لها شخصية متمردة متمسكة بكبريائها عنيدة وحيدة أمها وأبيها اللذان اهتما برعايتها وتعليمها وبل ودلالها الأمر الذي جعلها تتصرف كالصبيان وهي في منتصف عقدها الثالث..

أقام سليم أفندي وأسرته في ذلك المنزل الفخيم ؛كلغز أهل القرية عنه يتسائلون:

من هو سليم أفندي؟

ومن أين أتى؟

وما هي حكايته؟

دون أن يتجرأ أحدهم في البحث عن أجوبة لهذه الأسئلة، سوى القصص والروايات التي يتناقلها العوام فيما بينهم عندما يحملهم الفضول على محاولة معرفة العوالم المجهولة من حولهم..

يقول العمدة دكين أنه في سفرة من سفرياته تعرّف على معلم بالمعاش وأن ذلك المعاشي حدثه فيما حدثه عن زميلًا لهم أيام الدراسة والتدريب كانوا يسمونه مستر (ديكشنري) لتميزه في اللغة الإنجليزية وكان ذلك الزميل فارع الطويل، أبيض البشرة ، تنم نظراته عن ذكاء ونجابة ، وتشع قسمات وجهه عن ثقة ومهابة، وأنه كان قد بهر معلميه بذكائه وأدائه حتى وصوا إدارة المعارف بتعينه في درجة وكيل ناظر فور تخرجه، ثم لم يمضي عام على تعينه حتى بُعث إلى إنجلترا ومن ثم تفرقت بهم سبل الحياة وانقطعت أخباره التي كان آخرها أنه تزوج من فتاة إنجليزية من أصول شرقية..

إن ما ذكره ذلك الرجل عن زميلهم المتميز يكاد ينطبق بدرجة كبيرة على سليم أفندي رغم التغيرات الطفيفة التي تطرأت عليه بسبب عامل السن فهو الآن في

نهاية عقده السابع، إلا أنه لا زال يتميز بنظرات النجابة وقسمات المهابة ورحابة الصدر ورشاقة الجسم..

الغريب في الأمر أن العمدة التقى بذلك الرجل قبل عام من قدوم سليم أفندي إلى القرية، ولكنه أي العمدة ظل يهمس بهذه الحكاية لجلسائه كلما رأي سليم أفندي يمر من بين يديه، والقوم يتلقفون الحكاية بنهم في كل هذه المرات ، حتى يشبعوا فضولهم المتجدد حول معرفة حقيقة هذا الرجل الغريب العجيب الذي هو مستغرق في عالم غير معهود لديهم، عالم يتميز بالدقة والنظام في كل شيء، عالم يعرف قيمة الزمن وإنجاز العمل..

توسطت الشمس كبد السماء وعاد جابر من مزرعته واستلقى تحت ظل شجرة النيم التي تتوسط الدار وهو شارد بنظراته كمن يبحث عن شيء بين الأغصان، ثم طفق يدندن ويهمس باسمها ، وهي التي شغلت باله وبدّلت حاله منذ أن رآها في عالم الحقيقة مرتين مرة بين ظاهر الحقول ومرة وهي تطل من وراء النافذة كالبدر في يوم تمامه،وكان ذلك يوم أن دخل حديقتهم الغناء بطلب من والدها ليساعده في إزالة الحشائش الطفيلية وتشذيب الأشجار، ومنذ ذلك الحين وهو يتصيد أي فرصة عمل لدى سليم أفندي حتى يُملّي عينيه من ذلك الجمال الساحر وهي كانت تبتسم إليه وتلاطفه من عليائها..

لقد أخذ يحدث نفسه متسائلًا:

يا ترى ..أهي تحس بي في الحقيقة كما تحس بي في عالم الأحلام؟

وإن كانت تحس بي؟

..أهو إحساس حب وعشق أم إحساس عطف وشفقة؟

وإن كان حب وعشق..أتقبل بي زوجًا أم لا؟

وإن قبلت بي زوجًا..أيوافق والدها على زواجي منها أم لا؟

ثم همس في داخله بأنه يستبعد زواجه منها، فهي غريبة الطباع ليست كنساء القرية في شيء، فهي ووالدتها منذ أن قدمتا القرية لم تخرجا من دارهما لزيارة أو مشاركة النساء في فرح أو ترح، وحتى والدها رغم أنه رجل شهم لم يرد أحدًا طلب مساعدته أو طرق بابه إلا أنه نادرًا ما يشارك الناس في أفراحهم وأتراحهم..

صمت قليلًا كمن يقرر شيئا، ثم اعتدل جالسًا وقال موجهًا الكلام إلى أمِه التي كانت جالسةٌ عند حافة الظل وهي تعد في قهوة الظهيرة:

أمي..أريدك أن تخطبي لي جاسمين..

أمه:

أي جاسمين تعني..جاسمين بنت سليم أفندي؟!

جابر:

أي نعم هي بذاتها..

صمت أمه قليلا ثم قالت وقد شاعت الفرحة من وجهها:

كم أنا سعيدة أن أسمع ما تقول ..

ثم أردفت:

ولكن أتعتقد لو أني تقدمت لخطبة جاسمين؛هل ستوافق وأهلها على طلبك؟

أطرق جابر قليلًا ثم قال:

ليتك تحاولين يا أماه؛عساها توافق ويوافقون..

ترددت أم جابر وراجعت ابنها في طلبه ونصحت له بأن يبحث عن من تناسبه وتقبل أن تعيش عشته، رغم أنها كانت تمنى نفسها بأن تكون جاسمين هي زوجة وحيدها..جاسمين التي كانت طيفًا وها قد أضحت حقيقة .. جاسمين التي كانت سبب علته وشفائه..ولكن كيف ذلك والفارق بينها وابنها وبين جاسمين وأهلها شاسع مستحيل العبور..وهي لا تريد أن يركض ابنها خلف سراب الأحلام..

تزمّر جابر من تردد أمه وقام من فوره وارتدى قفطانه واعتمر طاقيته ثم انطلق حتى توقف أمام منزل سليم أفندي، وبعد أن التقط أنفاسه وربط جأشه قرع الباب،وكانت جاسمين من فتح..

سكنت حركته وخرس لسانه وهو يبحلق في تلك الفاتنة الساحرة التي كانت تنظر إليه بابتسامة زادته اضطرابًا على اضطرابه، ولما طال وقوفها عند الباب، صاحت بها والدتها:

جاسمين!..من بالباب؟

جاسمين:

إنه فلاح الحديقة..علّه يريد أبي..

دار جابر حول نفسه صامتًا، وقفل راجعًا من حيث أتى..

العشق

كانت أيامها متناهية الطول لأنها لا تمنحها إلا ست أو سبع دقائق تقضيها في مشاهدة فتى أحلامها فيما تقضي آلاف الدقائق والساعات في عالم الخيال وهي تحلم بلقائه والتحدث إليه ولو لبرهة من الوقت.

بالرغم من أنه ترك مقاعد الدراسة منذ نهاية الوسطى إلا أنه شغوف بالقراءة لدرجة النهم فهو لا يجد كتابًا جديدًا إلا وتلقفه بلهفة شديدة بل هو يمتلك الكثير من الكتب المبعثرة في أنحاء كوخه وهي خير جليس له في الخلوات..

كان جالسًا على رصيف الجدول الرئيسي المتدفق من فوة الطلمبة ليوجه مسار الماء بين الفينة والأخرى لجهة من جهات الحديقة لترتوي ثم يعود لمواصلة القراءة في الكتاب الذي كان بحوزته، بينما كان والدها مشغول بتشذيب بعض الشجيرات المتمردة..

نظرت إليه وقالت بصوت أنثوي بالغ العذوبة:

لم أكن أعلم أن الفلاحون يستطيعون قراءة الكتب!

ظلا يتحدثان أكثر من ساعة حكت له فيها عن حياتها في بلاد الغرب وحكى لها عن حياته في القرية..

سألته كيف تعلم القراءة؟

رد عليها:

في المدرسة مثل جميع الناس!

ثم قالت له:

بما أنك تحسن القراءة فلم أنت مجرد فلاح؟

سكت لئلا يجيب عن هذا السؤال وهو على يقين أن من الصعب عليها أن تفهم ما سيرد به، ثم شرع يحكي لها عن نفسه ومغامراته والعينان الزرقاوان تتفتحان عن مداهما وتقضيقا تحت تأثير المتعة والدهشة وبقدر ما كان الوقت يمر كان يتمنى إلا ينتهي النهار أبدا وأن يستمر والدها مشغولًا لوقت طويل، فإن البقاء معها لن يكون مشابهًا للبقاء مع غيرها من البشر حتى وإن كان مع بنات جنسها، إنها جميلة قسيمة ثرّة المعلومات جزلة الكلمات، لكن هيهات لقد نده عليه والدها طالبًا منه أن يزيل بعض الأعشاب التي كانت تعيق أنسياب الماء في بعض الجداول، وها هي قد نهضت وتوارت عن ناظريه في داخل المنزل..

هي معصر امتلأ شبابها وكملت محاسنها وفاض عليها رونق الشباب وأعجبت بنفسها،فهي كثيرة الخلوة مع نفسها كثيرة الكسل دائمة الفكر كثيرة التنهد والتأو؛تتفقد جسمها وشهوتها وتخاف أن يذهب شبابها قبل زواجها..

كانت تحب أن تظهر بمظهر الفتاة الشابة التي تملك تجربة في الحياة والتي سبق لها أن كابدت هيامًا أكبر وهي في الرابعة عشر من عمرها وعرفت مقدار الألم الذي يسببه هذا العشق، فهي عازمة بكل ما أوتيت من قوة أن تمتلك قلبه، فهي لا تهتم لكونه فلاح فقير فالحب

الحقيقي ليس له حواجز ولا يعرف الفقر ولا الغنى ولا أي نوع من أنواع الفوراق الطبقية التي دائما ما يتعلل بها الناس في التصاهر.

خيم الليل على القرية وألبسها بردته، وقيد الظلام ألحاظ العيون وأقبلت وفود النجوم وجاءت مواكب الكواكب، استلقى جابر على سريره في فناء الدار وهو يحدق ويسامر مصابيح الفلك التي طفت في بحر الدجي ويبث لها ما به من لوعة وعشق، لقد سحرته تلك الفاتنة وجعلته يتململ على فراش الفكر، وأنه الآن يكاد يجزم بحبها له بل هي فعلًا تحبه ولقد رأي ذلك في عينيها حقيقة كما رأه في الأحلام..

وكم أنه الآن سعيد يحلق في فضاءات الغرام، ولا شيء يكدره سوى ما

ذكرته عن لحظاتها الأولى من الحب التي عاشتها مع صديقها في تلك البلاد،وكيف أنها كانت تمارس عليه دور الصديقة فحسب وكيف أنه كان يحترم مشاعرها ولا يريد أن يجبرها على الخروج من هذه المشاعر التي تدفع بها إلى ممارسة نوع من التمرد عليه وهي فتاة مدللة صعبة المراس،فبالرغم أنها كانت تميل إليه بنوع من

الحب أو الإعجاب إلا أنها كانت تتعمد إنكار ذلك في كثير من المبالغة، ويلوذ هو بالصمت،وظل تضجره سريّاً في داخله حتي وجدت يومًا أصابعه تلامس وجهها، وتمر حول شفتيها باشتهاء، لم تأته سخونتهما، ومع ذلك همّ بتقبيلهما، ثم اكتشف أن نظراتها تقافزت غاضبة إلى وجهه كرر رغبته في نوع من الاستجداء، ظلت أصابعه تمشي حول شفتيها وتنزلق إلى عنقها،تركت نفسها له للحظة، تراجعت ذراعه عن خصرها، وظل جسدها يثير فيه نوعًا من التحدي المباشر، مشت نظراته عبر فتحة فستانها نحو الصدر، لم يكن قادراً على البوح لها بالذي يشعر به، فكر باختصار عواطفه كلها باحتضانها إليه بقوة،المهم أن يفجّر القلق المختزن في داخله..

سردت كل ذلك وهي في كامل هدوئها فما جرى هو عادي في عرف تلك البلاد..

لقد أثارته تلك الواقعة حتي جعلته يعضي على شفيته بغيظ شديد ويتمتم بعبارات الوعيد والتهديد لذلك الوغد الذي كاد أن يسلب محبوبته نقائها وعفتها، وكأنه ماثل بين يديه..كما أنه لم يعفها من أنها سمحت لذلك العابث أن يتحرش بها..

ثم ما لبث أن التمس لها العذر بأن ذلك الوغد هو من باغتها بتلك الأفعال المشينة خبثًا واستغلالًا لبراءتها،كما أنه هو نفسه لا يعفي نفسه من أن ذات الشهوة كادت أن تورده مورد ذلك الندل يوم أن راودته عن نفسها؛ما زالت تتنقل به تلك

الهواجس من حال إلى حال حتي حلق طائر الكرى في أجفانه وغط في النوم مكرها..

أما هي فكانت مثقلة بعشقه، ورجت الله أن يبعثه لها في هذا الليلة وكل ليلة وهي نائمة، وعلى هذا الأمل نامت، نامت دون أن تدري بأنها نائمة، لكنها تدري أنها عاشقة في نومها؛وأن لديها نصف سرير فائض عن حاجتها،وأنها ترقد على جنبها في الطرف الأيسر،كم هي عادتها،إنما ينقصها توازن جسد آخر على الطرف المقابل من السرير وفيما هي نائمة تفكر، فكرت بأنها لن تستطيع النوم بهذه الحال أبدًا،وبدأت تهذي وهي نائمة، ونامت هاذية دون أن تغير وضعها على حافة السرير، إلى ما بعد انتهاء صياح الديكة بكثير وايقظتها أشعة شمس الصباح النافذة من خلجات النوافذ وحينئذ فقط أدركت أنها نامت نومًا عميقا وهي تفكر فيه.

الخاتمة

عندما يتفائل المرء تتفجر فيه الطاقة من جديد ويتولد النشاط وتقوي الهمة ويتجدد الأمل ويزداد العزم علي تحقيق ما يريد ، وعندما يبد يومه بإبتسامة مشرقة تمحو الظلام وتبعث فيه البهجة والسرور، ومن يتفاءل بالخير يجده ..

فالصباح ما هو إلا انطلاقة لتلك الأمنيات المخبأة في القلوب فليكن تجديد العهود مع الأمنيات والأحلام في كل صباح توكلًا على الله واعتمادًا عليه سبحانه فى تحقيقها، مع نسيان الأمس والتحليق بأجنحة التفاؤل في فضاءات اليوم بصدر رحب وإبتسامة حالمة.

بعد أن مر ّعلى مزرعته التي استصلحها بعد الظروف القاسية التي مرّ بها، توجه إلى منزل سليم أفندي ذلك الغريب الذي وقف إلي جانبه في استصلاح المزرعة بل وفتح له داره و جعله ساعده الأيمن في زراعته وتجارته، ثم ذهب أكثر من ذلك بأن شجعه على إكمال تعليمه ونيله الشهادة الثانوية، لقد تغير جابر واستقام عنده الكلام وشذب شكله الهندام وبان في سلوكه اللطف النظام..

افترشت الشمس أفق السماء وأدلت بجدائلها الذهبية من خلف

الأشجار وأخذت تغرد الطيور وتصحو الورود وتتفتح الأزهار وتتساقط قطرات الندى من الأوراق هكذا بدا لها الصباح جميلًا وهي تطل من نافذتها وترقب رؤياه

، لقد عطفت عليه حينا ولاطفته حينا ثم أعجبت به شابًا قويًا أمينًا منذ أن اتخذه والدها ساعدًا له في أعماله،أما الآن فهي تحبه بل تعشقه ولا يبتسم لها النهار بإشراقته المنعشة إلا بعد تراه وهو يرنو إليها بنظراته الحانية. أما هو لقد تملكه عشقها رغم ما جرى منها يوم أن قرر خطبتها دون أن يتأكد من مشاعرها..

تنحنح عند مدخل الباب بعد أن بادلها النظرات وهي طالة من نافذتها،سمعت صوت والدها يشير عليه بالدخول إلى المكتبة،ثم ندها عليها بأن تأتيهما بكأسين من القهوة؛دخلت عليهما وهي في كامل حيائها وقد وضعت القهوة على المنضدة وانصرفت..

هكذا بدأ جابر حبه الصامت بقلب مكبوت، كان يجلس كل يوم بعد فراغه من عمله وحيدًا متظاهرًا بالقراءة تحت ظل سدرته التي كانت قبالة حديقتهم، حيث كان يسترق النظر إليها وهي تتجول في الأرجاء محاولة إظهار نفسها له من بين الأغصان مرة بعد مرة، كانت تتمشى بعزة طبيعية،رأسها مرفوع، ونظرها ثابت،وخطواتها رزينة وأنفها شامخ؛كانت رؤيتها تكفيه، وهو الذي رسم لها في مخيلته صورة مثالية بمشاعر خيالية..

أنه لم يعد يفكر في شيء سواها، وهكذا فكر أن يبعث لها رسالة مكتوبة، ولكنه احتفظ بها عدة أيام في جيبه، مفكرًا بطريقة لتسليمها لها، وفيما هو يفكر كان يكتب كل يوم كلمات جديدة قبل أن ينام حتى تحولت الرسالة الأصلية إلى

معجم في الغزل المتأثر بدواوين الشعر التي حفظها غيبًا لكثرة ما قرأها وهو ينتظر تجولها في الحديقة..

وفي بحثه عن وسيلة لايصال الرسالة، وعدم مقدرته على احتمال ضغط سره فتح قلبه دون تحفظ لأمه، وهي الشخص الوحيد التي كان يبيح لنفسه مفاتحتها ببعض أسراره؛انفعلت أمه حتى الدموع لسذاجة ابنها في شئون الحب، وحاولت توجيهه واقناعه بعدم تسليم المجلد الغزلي الذي لن يتوصل من خلاله إلا إلى تدلل الفتاة التي يفترض أنه ليس متأكدًا من مشاعرها نحوه، ثم قالت له:

ما دمت متمسك بـ(جاسمين) عليك أولًا أن تجعلها تنتبه لاهتمامك بها حتى يكون لها متسع من الوقت للتفكير..

كانت نصيحتها حكيمة دون شك، لكنها أتت متأخرة، فالواقع أنه منذ اليوم الأول الذي نهضت فيه جاسمين من فراشها على عجل ورفعت بصرها لترى من الذي يمر في رواق الحديقة، أثرّ فيها جابر بمظهره المميز، وفي الليل أثناء تناول العشاء، تحدث والدها عنه، وعرفت ما الذي جاء يفعله في منزلهم، وماهي مهنته، ثم زاد تعرّفها عليه يوم أن رأته يقرأ تحت سدرته في الجوار،وكم أنها كانت تتسلل خفية مع نسيمات الصباح الباكر،وقبل أن يدب السابلة في طرقات القرية لتجلس تحت السدرة وهي تتأمل دوحة فارسها الذي كانت تتمنى أن تكون جليسته تحتها في وضح النهار وهي شريكة متسيدة لا عشيقة متخفية.؛لم تعرف أبدًا متى بدأت تسليتها بمشاهدته تتحول إلى قلق ويتحول دمها إلى زبد للاسراع

برؤيته، وقد استيقظت في إحدى الليالي مذعورة لأنها رأته يتأملها في الظلام من طرف السرير،عندئذ تمنت من أعماقها أن تتحقق أمنيتها، وصارت تدعو الله في صلواتها أن يمنحه الشجاعة كي يسلمها رسالة، لتعرف فقط ما الذي سيقوله فيها.

مرت الأيام وهي تكبح نفسها كي لا يُلاحظ قلقها واضطرابها، ولكنها في يوم أحست به قريبًا جدًا منها، وقد دفعتها قوة لا تقاوم وهي تتمشى في الحديقة للنظر ما بين الأغصان، حتى رأت حينئذ وعلى بعد شبرين من عينيها العينين الأخريين الجليدتين، والوجه الملوح والشفتين المتحجرتين برعب العشق، اضطربت لجسارتها وتشبثت بغصن من الأغصان كي لا تسقط على الأرض،وهام جابر في بقية يومه كمن يسير وهو نائم حتى الفجر مراقبًا سواد الليل من خلال دموعه ومذهولًا بالتخيل أنه هو.؛ثم زداد هذيانه في اليوم التالي، حتى مر وقت القيلولة بجانب الحديقة، ورأها تجلس مع أبيها تحت أشجار البرتقال في وسط الحديقة ، كانت ترتدي عباءة من الكتان المطرز بالحرير، بها ثنايا كثيرة تنسدل من كتفيها، وعلى رأسها قبعة وردية مرصعة بخيوط ذهبية تمنحها مظهر الملكة المتوجة.جلس جابر تحت سدرته، حيث تأكد أنه سيكون مرئيًا، ولم يلجأ عندئذ إلى أسلوب التظاهر بالقراءة، وإنما جلس والكتاب مفتوح، مركزًا بصره على فتاته السامية، التي لم تبادله ولو نظرة شفقة.

لم يشعر بأنها رأته، ولم يلمح أية إشارة تدل على إهتمام أو إهمال. ولكن في لا مبالاتها كان ثمة بريق مختلف شجعه على المثابرة. وفجأة وضع الأب الكتاب الذي كان بيده على الكرسي وترك ابنته وحدها جالسة بين نثارة الأوراق الصفراء المتساقطة من أشجار البرتقال. ومدفوعًا باعتقاده المتهور بأنها الفرصة المناسبة، اجتاز جابر الباب الخلفي للحديقة الذي كان يعرفه جيدًا، وانتصب أمام جاسمين قريبًا جدًا بحيث شعر بشهقتها وتنفسها الوردي الذي سيميزها فيه طوال حياته المتبقية. حدثها برأس مرفوع وبتصميم لن يصل إليه ثانية إن هو أضاع هذه الفرصة؛ثم قال لها بصوت واثقًا ومتسلطًا لم تكن تنتظره منه:

أطلب منك شيئًا واحدًا هو أن تقبلي رسالتي هذه..

دون أن ترفع نظرها عن مجلتها التي كانت تتصفحها أجابته:

لا استطيع قبولها دون تفكير.

ارتعش جابر بدفء ذلك الصوت الذي لن ينسى جرسه المنطفيء طوال حياته. لكنه استمر على ثابته ورد في الحال:

فكري كما تشاءين..

ثم رقق من لهجة الأمر برجاء (إنها مسألة حياة أو موت)..لم تنظر جاسمين إليه ولم تتوقف عن تصفح مجلتها، لكن قرارها فتح له بابًا يتسع للعالم بأسره حين قالت له:

عد مساء الغد وانتظر حتى أكون وحدي..

عاد في الوقت المحدد واجتاز الباب الخلفي للحديقة، وانتصب أمامها.

لم ترفع جاسمين نظرها إليه، إنما تفحصت الجوار ثم قالت له:

ضعها على المنضدة..

كان جابر قد فكر بان يحمل إليها الورقات الستين التي صار قادرًا على استظهارها من الذاكرة لكثرة ما أعاد قراءتها،لكنه حسم أمره واكتفى بنصف ورقة مختصرة يعاهدها فيها على وفائِه لها تحت أية ظروف مع حبه الأبدي،أخرج الرسالة من جيبه ووضعها أمامها على المنضدة كما طلبت،لم تتجرأ حتى ذلك الحين على النظر إليه، وهي تحاول جاهدة بعدم السماح له برؤية ارتعاش أصابعها،ثم ما لبثت أن استجمعت قواها ونظرت إليه للمرة الأولى بوجه ملتهب، فقال جابر المتجمد:

إن هذا فأل خير..

شكرته بابتسامتها الأولى إليه؛والتقطت الرسالة من على المنضدة، ثم طوتها واخفتها في صدريتها، وعادت فورًا للاختباء في رصانتها وقد وعت أن الوقت قد نفد.

ثم قالت له:

اذهب الآن ولا ترجع إلى أن يصلك ردي.

رغم أنه لم يثير فيه أي نوع من القلق إلا أنه لفت نظر والدها وترسخت قناعته أن الفتى مهتم بابنته..

تم عقد قران حمد على خطيبته، وتدافع الحضور مهنئين العروسين،في ساحة الحفل التي كانت تعج بالمغنين والراقصين،وجلس جابر بعد أن هنأ صديقه وابن خالته بعيدًا كغير عادته،تقدم نحوه سليم أفندي وجلس إلى جانبه، ثم نظر إليه بعين حانية وقال له:

أتحبها؟

جابر:

من؟

سليم أفندي:

جاسمين..

دهش جابر وانعقد لسانه وانخفض رأسه..

ربّت سليم أفندي عليه وقال له:

لا عليك لعلي أحس بما يختلج في نفسك ولا تود البوح به ، لكن لقد فضحته عيناك وابتسامتها التي ترتسم على وجهها كلما وقع نظرها عليك..ثم أردف:

إنها تحبك،فلا تتردد بأن تجهز نفسك ،حتى يكون زواجكما في بحر شهر من الآن إن شاء الله..

ثم مد يده مصافحًا له وهو يقول:

مبارك يا جابر..أنت شاب تستحق كل خير..فهيّا أمسح عن وجهك غيوم الحيرة وأفرح..

نبذة عن المؤلِّف

الاسم:أحمد سليمان أبكر أحمد

الميلاد:قلع النحل في ولاية القضارف (شرق السودان)،العام ١٩٧٢م.

التعليم:الإبتدائي و المتوسط بقلع النحل، الثانوي بمدرسة كسلا الثانوية القديمة بنين،ثم جامعة أم درمان الإسلامية (كلية الاقتصاد و العلوم السياسية)،التخرج في العام ١٩٩٨م بدرجة البكالوريوس في العلوم السياسية.

المؤهلات العلمية:

***بكالوريوس علوم سياسية(كلية الاقتصاد والعلوم السياسية _ جامعة أم درمان الإسلامية ١٩٩٨م).**

*** دبلوم لغة إنجليزية(مركز السودان القومي للغاتِ (سلتي) ٢٠٠٢م.**

*** ثلاثة دبلومات في اللغةِ الفرنسيةِ (DELF)(المركز الثقافي الفرنسي) ،(وزارة التعليمِ العالي،فرنساِ، ٢٠٠٧،٢٠٠٨م).**

الأنشطة الأدبية:

***عضو منتدى دار الحكمة الثقافي (أم درمان).**

***عضو الإتحاد العام للأدباء و الكتاب السودانيين.**

***مؤرخ و مؤلف لكتب و قصص قصيرة.**

أعمال سابقة:

- كان أول كتاب هو توثيق لمنطقة قلع النحل (مسقط رأسي)، هو (الطريق إلى قلع النحل _العمارة و الجبل) الذي صدر في العام ٢٠١٥م عن صندوق رعاية المبدعين (ولاية القضارف_السودان)

و نلت بصدوره وسام الإبداع من ولاية القضارف..

- ثم تلا ذلك كتاب (أوائل في السودان) الذي هو مودع و لكن لم ينشر بعد و من ثم (كتاب الريف المكنون) الذي صدر عن مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة (مصر، القاهرة) في العام٢٠١٨م.

- و كتاب (Enlish For All Levels) الذي صدر عن مؤسسة (LAMBERT Academic Publishing) في العام ٢٠١٨م.

- قصصية بعنوان (الحب اليباب) كانت ضمن أفضل عشر كتاب من بين أكثر من مائتين كتاب أشترك به في مسابقة (صوت الابداع) التي أقامتها دار نشر كتبنا (بالقاهرة) فلذا جاءت في القائمة التي تلت قائمة الخمسة الفائزين مباشرة.

-هنالك كتب أخرى لم تنشر بعد و بعضها تحت التأليف.

- أهل القرية_ قصة طويلة_ دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني